



النُبعء الاقءصاءى لأموال الزكاة.

ء. سامى ميعارى

للزكاة حضور مكثف فى القرآن الكرىم وفما سىق الإسلام من ءىانات سماوىة؁ وتقرن الزكاة بالصلاة فى القرآن فى معظم المواضع ءلالة على أنها ركن من أركان الإسلام وتحتى بأهمىة قصوى. وقد ذكر القرآن على لسان السىء المسىء عيسى - علىه السلام - أن الزكاة كانت جزءاً **من الرسالة المسىءىة؁ لقوله تعالى على لسان المسىء: "وأصانى بالصلاة والزكاة ما ءمئء حياً"**. سورة مرىم. الآىة رقم 31

ولا شك فى أن الزكاة لىست مجرد مال ىءفع للفقراء بلا رقىب أو حسىب؁ تؤءى به الفرىضة وىتحقق به الأجر والثواب؁ بل هى مسألة أعمق من ذلك؁ فقد تنبنى علىها رفاهىة مجءمع؁ وءعامة بنىته التحتىة؁ كما أن له أبعاءاً نفسىة تسهم فى ءافعىة نحو العمل والإنتاج والارتقاء وهذا كله ىصب فى النمو الاقءصاءى.

الزكاة حاضرة بقوة فى المشهء الإنسانى بالءرءة الأولى وهى على علاقة وثىقة بالءانب الاجءماعى لأنها تؤججئ نحو ءحسن وضع الطبقات الاجءماعىة الضعىفة اقءصاءياً؁ ونحو ءءخفىف من أعباء الأفراد والأسر ءوى ءءل المتءنى أو المنءعم. كما أن للزكاة مصارف أءرى كءءخفىف أعباء المءىنن الءىن ىءءءهم الفقهاء؁ وءفع ءكالىف أءور القائمن على ءمعها وتوزىعها وهذا مؤءاه إءراء الحالة الاقءصاءىة لكءىر من الناس.

ولأن الاتءاهات الإنسانىة مءاءلة فلا بء من الإءشارة إلى الأبعاء الاجءماعىة لأموال الزكاة كمءءمة للغوص فى العمق الاقءصاءى لها.

فقد أثبءت ءءراسات أن ءللىص شرىة معىنة من العىش ءءت مسءوى ءط الفقر له ءور فى إنقاؤها من السقوط فى هاوىة العنف وءشغىلها فى إطار ءءمىة والإنتاج.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف العظيمة جعل الإسلام الزكاة سنوية لكي تتمكن المجتمعات من التخطيط الموجه الهادف المبني على خطة زمانية لأن الجدول الزمني من أهم مقومات نجاح الخطط ولها دور بالتالي في توجيه المنظومة الإنتاجية في داخل مجتمع ما .

أما في مضمار الاقتصاد فأموال الزكاة تحظى بدور مميز شريطة أن يسهم فيها جميع من تجب عليهم الزكاة وهذه الشروط موجودة في تراث الفقهاء الذي ليس من شأننا تقريره، وشريطة أن توزع بشكل مدروس وليس عشوائياً وعفوياً وهذا ما سأتي عليه في الفقرات التالية من هذا المقال.

فعندما يتوفر دخل للفقير الذي لا يملك القدرة الشرائية فإن هذا يزيد من استهلاك الفرد مما يتعكس أثره على زيادة الإنتاجية في داخل مجتمع ما وزيادة الإنتاج تؤدي إلى زيادة عدد العمال الذين يشتركون في هذه المنظومة الاقتصادية فيزداد دخل العمال وإجمالي هذا القطاع سيؤدي إلى زيادة الإنتاج مرة أخرى وهكذا دواليك ... فالفكرة هنا مفادها أن لأموال الزكاة دوراً في حفز المجتمع نحو الدائرة الإنتاجية .

فقد أشار القرآن الكريم إلى هذه

الحقيقة عندما قال: " الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقا * لهم درجات

عند ربهم ومغفرة ورزق كريم". الآياتان من 3-4 من سورة الأنفال

فإنفاق الصدقات وفي طبيعتها الزكاة يُحقّق الرزق الكريم لكل من أسهم في إقامة هذا الفرض على أحسن وجه وأكمل صورة. ومن المؤكد أنه ينعكس أثره على المجتمع كله اقتصادياً، نظراً للروابط القوية بين المتبادلين للمنفعة الاقتصادية.

في المجتمعات الأجنبية وكذلك نلاحظ في المجتمع الإسرائيلي اقتباس لفكرة الزكاة ولكن بغلاف غير ديني فليس من قبيل الصدفة أن تجد لديهم مكاتب تسعى لتوفير الحد الأدنى لشريحة ضعيفة اقتصادياً في المجتمع، وهذه المكاتب تنتمي لوزارات أو مؤسسات في الدولة أو في القطاع الأهلي. حيث مخصصات البطالة والشيخوخة واستكمال الدخل، وهذه الأنواع من المخصصات ليست ذات بُعد إنساني واجتماعي فقط بل هي ذات مغزى اقتصادي لأن زيادة دخل هذه الشرائح يؤدي إلى إنتاجية... وعملية الإنتاج هي نهضة اقتصادية ونمو اقتصادي... ولها تبعات أخرى على تطور المجتمع من حيث بنيته التحتية وسلوكه.

ولكن الملاحظ في الوسط العربي وفي الفترة الأخيرة بالذات أن جمع أموال الزكاة وتوزيعها لا يتم على أسس مدروسة ولا يقوم على بناء محكم ولذا لا نشعر بأثر عميق لها على الحالة الاقتصادية لمجتمعنا.

غالباً ما تكون الحركة الإسلامية ولجانها هي المتصرف الأبرز بأموال الزكاة كما أن هناك لجاناً من خارج الحركة الإسلامية تقوم بالدور نفسه ومن حيث المبدأ ليس لدي اعتراض أو انتقاد لفكرة قيام الحركة الإسلامية أو غيرها بهذا الدور فالمشكلة ليست فيمن يقوم بالمهمة لكن تركيزي قائم على مناشدتهم باتباع المهنية والدقة والتخطيط العميق لهذا الدور الكبير...

فالمراقب لعمل لجان الزكاة يحصي سلبيات أكثر من الإيجابيات خاصة عند عملية توزيع المال فهو كما أشرنا عمل ما زال يفترق إلى المنهجية بحيث تحصل بعض العائلات على حصة غير متساوية مع حاجتها أكثر أو أقل كما قد لا تصل هذه الأموال إلى كثير ممن يحتاجون إليها وهذا ليس عن سوء نية في الموزعين بل كما ذكرنا هو ناتج عن سوء في إدارة الموضوع.

ومن أجل تفادي مثل هذا الخطأ أطلب بإنشاء لجنة زكاة واحدة موحدة في البلاد، لها إدارة وفروع تقوم على جمع البيانات الدقيقة والمعطيات الصحيحة عن المحتاجين وتعمل على الإرشاد القيم لكيفية التوزيع، كما أتمنى أن تشارك في هذه اللجنة أطراف سياسية متعددة وهذا ليس من باب التخوين أو الانتقاص بل من باب العمل المشترك المثمر الواعي الناجح.

وتقوم هذه اللجنة الموحدة بالتنسيق مع أقسام الرفاه الاجتماعي لتحقيق أعلى مستوى من الأداء. فهذا هو العمل الأصح والأصح والأكثر فاعلية في المجتمع.

فلا يعقل أن يظل عمل لجان الزكاة بدون رقابة، والرقابة هنا إيجابية ليست من باب التضيق لكن من باب توسيع دائرة الفائدة ومردودها لأن الموضوع هام وحساس ودقيق.

تجب أن يتم توزيعها **بمهنية اقتصادية عالية**. حيث يتسع النظر إلى ما هو أبعد من السنة الحالية لأن أموال الزكاة يجب توظيفها في مشروعات تعود بفائدة دورية واستراتيجية على الشرائح التي تستهدفها أموال الزكاة بالدرجة الأولى، فتخصص أجزاء من أموال الزكاة في إنشاء مصانع وبنى تحتية ومشاغل خياطة ورياض أطفال ومشاريع ذات جدوى اقتصادية أخرى تحقق الأمن المعيشي لهم فتصبح بذلك صدقة جارية بمعنى أن فضلها على الآخرين متجدد وثوابها كذلك متجدد لدافع الزكاة والقائمين عليها.

ولعل مثل هذه المشاريع تسد النقص الذي قد يحدثه نقص أموال الزكاة في سنوات لاحقة وتأتي بأموال جديدة غير الأموال التي تجمع نقداً بالطريقة التقليدية ونلفت إلى أن مثل هذه المشاريع تحقق **تمكيناً للمرأة العربية** التي تحتاج لمثل هذا التمكين في المجتمع.

في الخلاصة: لا ننتقص من دور أحد ولا نشكك في نية أحد لكن الحياة تستوجب تطوير أدواتنا وتقوية أدائنا لكي ينتفع بأموال الزكاة أكبر قدر ممكن من الشرائح الضعيفة وهي في النهاية عمل خالص لوجه الله تعالى.